



Manifestations of Identity in the Emirati Feminist Novel: Reem Al-Kamali's *Rose's Diary* as a Case Study

Muna Ali Sahli*

Department of Arabic Language and Literature, United Arab Emirates University, Al Ain, UAE

Abstract

Objectives: This study aims at highlighting some features of the Emirati feminist novel through exploring the theme of identity in Reem Al-Kamali's *Rose's Diary*. It examines the representation of identity in terms of the Self-Other relationship as it is manifested in the aforementioned novel. Doing so, it underlines identity's significance in explaining other subject matters that the novel tackles.

Methods: The study uses the analytical approach by engaging cultural and feminist approaches as two interrelated fields of study which are interested in dealing with cultural misconceptions. Hence, the study uses feminist literary theory due to its concern with the cultural construction of gender so as to highlight the fact that women's identities are socially constructed rather than biologically determined. To achieve its purpose, the study highlights the representation of the Self and the Other in *Rose's Diary*. It ultimately shows that analyzing the position of the female narrator within the network of connections she establishes with the Other leads to understanding several issues raised by the novel.

Results: The study shows that identity, in its various manifestations and paradoxical nature in the writer's consciousness, represents a central issue in the novel. Moreover, it reveals that despite the novel's interest in the suffering of women in a male-dominated society, the heroine's speech and actions characterize her as a product of her patriarchal culture, leading to her admission of her lover's superiority over her.

Conclusions: The study reveals the novel's obsession with preserving cultural identity but at the same time tracing features of change in the nation's cultural values.

Keywords: Emirati Novel, Identity, Reem Al-Kamali, *Rose's Diary*.

الهوية وتجلياتها في الرواية النسائية الإماراتية: قراءة في يوميات روز، لريم الكمالى أنموذجًا

منى علي الساحلي*

قسم اللغة العربية وأدابها، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين، دولة الإمارات العربية المتحدة

ملخص

الأهداف: تطمح الدراسة إلى تبيان حوافر مما تهتم به الرواية النسائية الإماراتية، من خلال موضوع الهوية في رواية ريم الكمالى (يوميات روز)، وهو موضوع تسعى الدراسة إلى بيان أنه يجسد خيطاً ناظماً لمehr اليموميات. وما كانت هوية الذات لا تتحدد إلا في علاقتها بالآخر، فقد ركزت الدراسة على هذين العنصرين لكشف الصور والولايات التي تتحدد بها الأنماط والآخر، وفهم ما ينبعها من علاقات وانعكاساتها على القضايا التي تعالجها الرواية.

المنهجية: تتبع الدراسة المنهج التحليلي مع الإفادة من مقولات النقد النثري والنسووي، وهما حقولان من النقد تحكم بينهما علاقة وثيقة، فكلاهما يهتم بجلاء الوهم المكتسب الذي تصنعه الثقافة أو تمرره من مفاهيم. إن نظريات النقد النسووي هرمت بكيفية إنتاج الفروق الجنسية (ثقافياً)، لذلك فإن ماهية (المرأة) إنما تتحدد وفق المفاهيم المكتسبة في المجتمع، وليس وفق البنية البيولوجية وحدها. بذلك تتعقب الدراسة- عبر مستويات السرد في (يوميات روز)- صفات الأنثى، كأشفه انتقاماً منها وقضابها، كما تناقض صور الآخر. أفضى تحليل موقع الأنثى- ضمن شبكة العلاقات التي تقيمها أو تقطعها- إلى فهم القضايا التي تثيرها الرواية من خلال منظور الذات ورؤيتها للأخر، ورؤيتها هو لها.

النتائج: بنيت الدراسة أن هاجس الهوية يمثل قضية محورية تقوم عليها الرواية، على اختلاف مظاهرها، وإن لم تخل من مفارقات في وعي الكاتبة، فهي حين ترکز على معاناة المرأة في مجتمع ذكوري، لكن تظهر في تصرفات البطلة وأقوالها ما بين تأثرها بهذه الثقافة، التي تفضي إلى الاعتراف لحبيها بتفوقه عليها.

الخلاصة: كشفت الدراسة هاجس الرواية في الحفاظ على الهوية الوطنية، ورصدت معايير التغيير في معايير البلاد وقيمها.

الكلمات الدالة: يوميات روز، ريم الكمالى، الرواية الإماراتية، الهوية.

Received: 23/8/2022
Revised: 15/5/2023
Accepted: 7/6/2023
Published: 30/5/2024

* Corresponding author:
muna_sahli@uaeu.ac.ae

Citation: Sahli, M. A. . (2024). Manifestations of Identity in the Emirati Feminist Novel: Reem Al-Kamali's *Rose's Diary* as a Case Study. *Dirasat: Human and Social Sciences*, 51(3), 471–480.
<https://doi.org/10.35516/hum.v51i3.1968>



© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license
<https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/>

المقدمة:

الحديث عن الهوية ليس بالحديث الجديد، فمنذ أن تكون المجتمع الإنساني وأفراده يبحثون في أشكال الولاءات والانتماءات التي تربط بعضهم البعض، وإن كانت الخصومات والاختلافات تبرز حتى بين أكثر أشكال الارتباط حميمية. لعل كثرة الحديث عن الهوية في الآونة الأخيرة- وما يتعلّق بها من إشكالات وأزمات وتساؤلات أن تكون أثراً من آثار العولمة، (ينظر مثلاً غليون، ب. 2005، ص 23 وما بعدها، وزغو، م. 2010، ص 93-101)، وما ولدته من هواجس وأسئلة حول الانتفاء والأصل، وموقع الإنسان في عالم متغير تتضارب فيه القوى، وتطغى عليه المصالح، وتسيطره المادة ومن يمتلكها.

يعزى إلى عالم النفس إ. إريكسون صياغة تعبير (أزمة الهوية)، وتوسّع استخدامه أكثر في السينييات من القرن الماضي مع بروز مسألة الأقليات. (ينظر بلكا، إ.، وحراز، م، 2014، ص 17).

لقد زاد الاهتمام بموضوع الهوية، ونشطت- مؤخراً منذ بداية الألفية الثالثة- الكتابات حول موضوع الهوية ومفهومها، وأقيمت ندوات ومؤتمرات لدراساته ومناقشته، ولاسيما في دولة الإمارات. من ذلك ما أشارت إليه رحاب الكيلاني (2013، ص 11)، على سبيل المثال، مؤتمر مركز الخليج للدراسات تحت عنوان: (الهوية العربية في عصر العولمة، 2006)، وتنمية عام 2008 بعام الهوية الإماراتية (ينظر موقع البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة المثبت في قائمة المراجع). هذا الاهتمام المتنامي يمكن فهمه كذلك في ضوء ما يشهد له المجتمع الخليجي، والإماراتي خاصة، من تحولات مهمة، ولا سيما ما نال التركيبة السكانية من تضخم لنسبة الوافدين، قياساً بنسبة المواطنين في الدولة، حيث بلغت نسبة السكان الإماراتيين 11% تقريباً من مجموع سكان الدولة، وهو ما تسبّب في إثارة عدّة قضايا وإجراءات تتعلق بالهوية الوطنية، ومناقشة سبل الحفاظ عليها، فضلاً عما أثير من معضلات تتعلق بمنظومة القيم، وما رصد من تحولات على الصعيد الاجتماعي والثقافي وغيره (الكيلاني، نفسه). وهو أمر ناقشه محمد عابد الجابري تحت مسمى (مشكل الهجرة)، وربطه بأزمة الهوية، ومثّلّ عليه بالهجرة إلى الخليج، والهجرة إلى أوروبا الغربية، على اختلاف وتمايز في ظروف كلّهما. (ينظر الجابري، م. 2010).

الهوية Identity:

الهوية اسم غير عربي في الأصل، لكن عمد إليه بعض المترجمين، فاشتق من ضمير الربط (هو): "الذي يدلّ عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره... في قوله (مثلاً): "زيد هو إنسان..." (صليبا 1982، ص 529) ويقول الجرجاني (التعريفات، 1985، ص 278): "الهوية هي الحقيقة المطلقة المستملة على الحقائق اشتغال التّواه على الشّجرة في الغيب المطلق".

يقول الكفوبي (الكليات: معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، 1998، ص 961) عن لفظ الهوية: "يطلق على معانٍ ثلاثة: التّشّخص والشّخص نفسه والوجود الخارجي" ويفسّر ناقلاً التّمييز بين الهوية والحقيقة والماهية: "قال بعضهم: ما به الشّيء هو هو باعتبار تحققّه يسمّي حقيقة وذاً، وباعتبار تّشّخصه يسمّي هوية، وإذا أخذ أعمّ من هذا الاعتبار يسمّي ماهيّة....". وقد حدّد علماء المنطق العربي هوية الشيء- كما فعل الفارابي- بأنّها "عينيته ووحدته وتشّخصه وخصوصيته وجوده المنفرد له عن كلّ واحد". (عن الكيلاني، ص 19).

الجدير بالذكر أنّ بعض الفلاسفة المسلمين الأوائل (مثل ابن سينا والكندي) استعملوا مصطلح الإنّية، وهو اصطلاح فلسي قدّم معناه تحقق الوجود العيني، وهو قريب من معنى الهوية. (ينظر صليبا، ج، 1982، ج 2 ص 169، و 171)

وقد تبلور مفهوم الهوية- في الاستعمال الحديث- كما صاغها عبد الإله بلقزيز بأنّها: "محصلة معطيات الميراث الثقافي والاجتماعي والقومي والديني، لدى أية جماعة، أو أيّ شعب، أو أية أمة". (عن الكيلاني، ص 22)

بالرجوع إلى قاموس السياسة والمؤسسات السياسية، يشير مؤلفوه إلى أنّ الهوية السياسية سواء أكانت لواء حزبياً، أم هوية وطنية تتعدد من العمل المتواصل لبناء صور لمجموعة معينة، يشتّرط محيطها الدّاخلي والخارجي في تكوينها. وعليه، فتحديد الهوية له قطّبان: الأنّا والآخر، وهي تتّضخ "بتكمال صورة الأنّا في المرأة، وصورتها في مرأة الآخر". (عن الكيلاني، ص 23).

ومن ثمّ، تظاهر إشكالية المصطلح، وصعوبة حصره في تصوّر واحد، فضلاً عن وقوعه في مجالات متعدّدة من التّخصصات من علم اجتماع، وأنثروبولوجيا، وسياسة، وأدب، وفلسفة، وعلم نفس، وغيرها (ينظر مثلاً سوزان مشير حمد، 2020)

ذلك أنّ مفهوم الهوية ورموزها تختلف من جماعة إلى أخرى، بل من شخص إلى آخر، ففي حين تمتّد أمّاكن لتكون هوية أنّاسٍ، قد يجد آخرون- من الفنانين والأدباء مثلاً- الهوية تمثّل في عنصر محدّد يبلور جوهر المكان بالنسبة إليهم، على نحو ما فعل لاس شتيجنر 1962م، حين وجد "أنّ روح مدينة وايتمند الواقعة في إقليم السهول الوسطى بكندا، التي كانت بها دياره في السابق، تظاهر في رائحة نبات التوت الفضي قبل أيّ شيء آخر! (رالف، 2008، ص 104)، لذلك ف"وجودك بباطن المكان يعني انتمامك إليه وتعين هويتك به، وكلّما زدت عمقاً فيه قويت هويتك به". (رالف، 2008، ص 105).

بل إنّ الفرد الواحد قد تكون له أشكال متعدّدة من الهوية/الهويات في سياقات مختلفة، على نحو ما توضّح أماريتا صن؛ إذ يمكن لشخص "أن

يكون مواطناً بريطانياً، ومن أصل ماليزي، وله خصائص عرقية صينية، وسمسار بورصة، وغير نباتي..." (ص، 2008، ص 38).

إذا كانت الهوية ظاهرة رمزية مجردة، كما يقول المنسري (2014، ص 259)، فإن لها ملامح ومتطلبات- في الأعمال الأدبية يمكن للدارس فهمها عبر سياقات النص والآيات، لكن يجدر الاحتراز مما قد يعثور بذلك من مخاطر، لا تأمن مزالق الإسقاط أو سوء التأويل.

غير أن هذه الدراسة تسعى إلى استجلاء ما يتعلّق بسؤال الهوية في الرواية النسائية الإماراتية بالتقاط ما بين من معالم - داخل النص السردي- تعبّر عن موقع الذات في عالمها وما ينطوي عليه من علاقات انسجام وتألف، أو اختلاف وتباعد، وفق بني أو قيم تؤسس لهذا الانسجام، أو تسبّب ذلك التناقض. لعل من نافلة القول إنَّ فنَّ الرواية قد شَكَّلَ حضوراً لافتاً في المكتبة العربية، مفوّتاً أفلام الكتاب والكتابات بإمكاناته التقنية، وما يتّيجه من مساحة تعبيرية واسعة، لتجد فيه براحّاً يتسع لما تمتّلئ به نفوسهم، وما تمّجّس به رؤاهم.

لم تتأخر الكاتبة الإماراتية عن افتحام هذا الفن السردي مسجّلة جرأةً في التجربة لأشكال السرد وتقنياته، كما سجّلت تنوّعاً في تناول الموضوعات التي تكتب فيها، وإن كانت كثرة العناوين والمنشورات- بطبيعة الحال- لا تقتضي حكماً بنضج التجربة الفنية التي لا يزال الوقت مبكراً للحكم عليها، قياساً بزمن ظهور هذا الفن في البلاد.

لقد اهتمت الرواية النسائية الإماراتية- شأن الرواية العربية والروايات ما بعد الكولونيالية عموماً- بمسائل تتعلّق بسؤال الهوية الذي ينصب حول موقع الذات، وعلاقتها بالآخر النظير/ المواطن، والأخر الغريب عبر مستويات متعدّدة من التّعّالق والتّقاطع، سواء على الصعيد اللغوي، أم الاجتماعي، أم الثقافي، أم المكاني، أم غيره.

ريم الكمال:

من مواليد 19 أغسطس 1974. نشأت في قرية خصب، وانتقلت إلى دبي فنالت الثانوية بدبي 1994م، ثم التحقت بكلية الآداب في بيروت فدرست التاريخ والأثار، تتقن اللغة الإنجليزية، مع إمام بالسومري والهieroغليفية، بما يتيح لها قراءة النصوص على الألواح الحجرية والطينية القديمة. لها شغف بالصحافة حيث تعمل منذ فترة مبكرة من مسيرتها المهنية، فاشتغلت منفذة لصفحات الجريدة الرسمية، ومخرجة ملتحق سياسية وثقافية، كما عملت مصممة لملحق مسارات الثقافي في جريدة البيان. هي أيضاً مسؤولة مكتبة البيان التابعة للصحيفة.

تعدّ ريم الكمال واحدة من أبرز الكاتبات الإماراتيات ذات الحضور في المشهد الثقافي، فلها رصيد وفر من الأعمال العلمية والأدبية التي هي محل تقدير واهتمام، فازت روايتها الأولى (سلطنة هرمز) الصادرة عن دار كتاب الإماراتية 2013، بجائزة العويس للإبداع، في دورتها الثانية عشرة عن فئة أفضل إبداع قصصي أو روائي لعام 2015م. أما روايتها الثانية تمثّل دلما، فقد حازت على جائزة أفضل كتاب عربي ملّوف إماراتي في معرض الشارقة الدولي للكتاب عام 2018. أما روايتها الثالثة (يوميات روز) - وهي مدار هذا البحث- فصدرت عن دار الآداب 2021م، فقد وصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية، عام 2022م. (التعريف بالكاتبة مستمدٍ من مجمله من سيرتها الشخصية كما قدمتها الكاتبة حين استضافها الباحثة في ندوة بجامعة الإمارات، يوم الاثنين الموافق 24.2.2020، ومن موقع التبرة الإلكتروني والموقع الإلكتروني للجائزة العالمية للرواية العربية)

وقد وجدت الرواية الأخيرة- منذ صدورها- صدى في كتابات الأدباء والدارسين، فكان الكاتب الجزائري واسيني الأربع من أوائل من كتبوا عنها، ونحوها إلى ما تحمله من إشارات إلى موضوع الهوية بدءاً من هوية المرأة/ البطلة المهدّدة بالموت تخلّياً عن كينونتها، وانهاء بالبحث عن الهوية المكانية في زمن شهد موجة التيار القومي، كما عانى من انهيار للقيم بأنواعها. (الأعرج، واسيني، 2021)

الهوية وهاجس التوثيق:

إنَّ تشكّل الذات يتم عبر سلسلة من المواقف التي تحدّد موقع الذات من محيطها، وممّا يشتمل عليه هذا المحيط من أفراد وجماعات، تدخل بدورها في منظومة من المفاهيم والأحوال والمواقف التي تتشبّك أو تتنفّص أو تصططع معها. فحياة المجتمع الجديد (المنفتح) على جماعات وثقافات مختلفة، تضع الذات كل يوم في علاقة جدلية مع الآخر، تشكّل مواجهة تثير أسئلة ضمنية عن كينونتها، وعن موقعها منه وموقعها منها.

تثير اليوميات عدّة قضايا متشابكة يمكن أن تنظمها في خيط جوهرى، هو خيط الهوية. فالاليوميات فعل كتابة تسجيلية لأحداث متواترة يومياً، وإن غاب أو أهمل هذا التواتر، فإن فعل الكتابة يسجل حاججاً أصيلاً تسرّب من الكاتبة إلى البطلة (أدبية المدرسة) التي كانت تحلم بأن تدرس الأدب العربي في جامعة دمشق، وتصبح كاتبة ذات شأن في عالم الإبداع.

تقول البطلة اليافعة مشيرة إلى هاجسها الكتافي، وغايتها من التدوين: "كان يجدر بي إكمال تعليمي الجامعي والدراسات العليا لأوثق أحوالاً نقلت على شفاه ورثة السلف، لم تكن فيibal ولم تعد..." (الكمالي، ر. 2021، ص 28)

إنَّ القصد التسجيّلي تعلّنه الكاتبة صراحة- في حديثها عن الرواية وهي ما تزال قيد النشر- وهو يبرّز أيضاً في روايتها السابقتين: سلطنة هرمز، وتمثّل دلما. الغريب- الآخر: القريب/ البعيد:

منذ بداية اليوميات، تبرّز هذه الإشكالية المعقدة للهوية، حيث تتقاطع الأنماط مع الآخر، في عدّة علاقات تشكّل بها هوياتها/ هويّتها ذات الأوجه المتعدّدة. فمنذ وفاة الأم، تهض إشكالية الهوية البطلة (روزه) التي تصبح في نظر عمّها وأهل أبيها (عربها) في السارقة، عند أخواها الذين ينتمون إلى قبيلة أخرى.

لذلك يقررون إحضار (ابنهم) إلى بيت أبيها، الذي بقي- بعد وفاته- أولى بها من بيت أخوالها حين ماتت أمها. كما تشير الكاتبة إلى العصبية الوطنية، التي تتقاطع مع شعارات العروبة حين النضال القومي، وتنقلب عليها حين المصاهرة. فهذا المجتمع الذي يفخر ويغتر بالعروبة والعرب إلا عند النسب، فإنهم يغدون خصوماً وأعداء. فهو مجتمع "لا يتشابك نسبياً مع الأغرب..." (الكمالي، نفسه، ص 78) وحين تجد البطلة (روزة) رسالة من صديقتها (بعد أن أخفاها عنها عمها)، تحدثها فيما عن سفرها إلى بغداد حيث تدرس الأدب الإنجليزي، وعن علاقة حب نشأت بينها وبين زميلها العراقي الشاعر، تتخيل البطلة أنها تردد عليها لتحمّها، في رسالتها الوهيمية، على أن تعيش هذا العشق الجميل، ولكن ينبغي أن تدرك أنه لا أمل لها أبداً في الزواج منه في عرف مجتمعها، الذي يصادر حق الأنثى في اختيار من تحب، فكيف إذا كان غريباً! منذ البداية تشير البطلة- في أثناء رحلتها إلى بيت والدتها في دبي- إلى خلو المكان من (الغراء)؛ وتبين أن المنطقة التي تقيم فيها أسرة أبيها (حي الشندغة) المجاور للخور "أعرق حي، وأقدم مجتمع في دبي" كانت خاصة بالمواطنين، ولا وجود لغريب بينهم؛ "إذ لم يسمح للهنود بالإقامة في الحي، ولا للبلوش أو الإيرانيين، ولا الآخرين، كل هؤلاء كانوا يقطعون في منازل بسيطة في ديرة". (الكمالي، ص 12، ص 25) من ناحية أخرى، يبدو الآخر/ الغريب بعيداً عن فهم طبيعة تكوين المجتمع المحلي، الذي لا يرضي- بدوره- عن صورته المبتسرة في مرآة أولئك الغرباء، ولذلك تذكر روزة من ضمن أسباب نفور المجتمع/ الرجال من الغرباء، أنهم لا يميزون خصوصية الهوية لهذه البلاد، وتشير إلى اعتزاز (الرجال) العالى بالنفس وانزعاجهم من الأغرب الذين لا يميزون بين أحد، "فالجميع في نظرهم: (بدو)!" (الكمالي، ص 104)

الغريب/ المستعمر:

تذكّر البطلة روز/ روزة في يومياتها جزءاً من تاريخ المنطقة مرتبطاً بالخليج والتجارة والبحر، مشيرة إلى ما تعرضت إليه من استعمار امتصّ خيراتها، وظهر لـ "أول مرة في تاريخ العالم" مصطلح (تجار لندن). فالتاجر الإنجليزي لم يولد بمهارته، ولا يارثه من أجداده الذين لم يعرفوا " سوى الطاعون والحرب والبرد والحرق" (الكمالي، ص 126)، ولا اغتنى بشرف المنافسة. فالإنجليز يظهرون في الرواية- كما في العديد من الروايات الإماراتية- في سياق السرد التارخي بوصفهم المستعمر الذي ينطلق في علاقته مع المستعمر من منظور المتفوق، لكنه في الوقت نفسه مدين له بما يناله من خيرات البلاد ومقدراتها فهو في تعامله يقوم على نظرة مزدوجة بين الاستهانة والاحترام، من جانب، ومن جانب آخر على الطمع والشّر، ليجتمع الجانبان فيما شكلته سياسته من ازدواجية معايير ترفع للآخرين شعارات ومبادي، لا تطليقها على نفسها. إنّ هوية هذا المستعمر، أو ما اتخذه من أشكال برراقة يرتجّ بها لنفسه (تجار لندن)، لم تتأسّس- كما تذكر البطلة- بما تقتضيه هذه الحرفة من مهارة وخبرة في التعامل، والصلات الإنسانية، والقيم الأخلاقية، بل تأسّست من قدرته على تحين الفرص، وإظهار الجبروت، والاستيلاء على خيرات الآخرين. بذلك فهي تشير إلى ممارساتهم الوحشية، في سبيل مطاعمهم التي لا تأبه لأيّ قيم أو نواعز خيرية: "منذ ولادة الإنجليز على سواحلنا بسيرهم على شهقات اليابسة، وهم يختبرون قوة إبحارهم في سفنهم الضخمة، ويحررون شهوتهم على منازلة الموت فيما حق يطقوه بنشر أنقاليهم، فينبسطون لانتزاع المسطّحات المائية والجزر تباعاً، ويتخلصون كلما ضجروا من أصحابها، وما أكثر الحكايات الموروثة في هذه الزرقة التي لم يكتبه أحد"! (الكمالي، ص 27)

هكذا يتشارب الشخصي بالوطني، والخاص بالعام، كما تتشابك في المخيّلة أحلام اليقظة بكتابيّس المنام: لتنسج منها يوميات هي أقرب إلى التّهويّمات التي تنسرب عبرها أفكار الكاتبة البطلة إلى البطلة الكاتبة قابضة على جمر البراع لتوقد أسئلتها الشائكة، مقاومة المحو والصّمت والنّسيان. فهاجس التوثيق هو هاجس الكاتبة تسلّل إلى البطلة، التي تعيش وعيّاً مبكراً، وتعاني تشتتاً انعكّس في أزمة هويّتها الموزعة بين الأماكن والألسنة والأهواء.

الغريب سلاح ذو حدين:

تعود البطلة بالزمن إلى السّتينيات من القرن الماضي، الزّمن السّابق لقيام دولة الاتحاد، مستدعاً تاريخ هذه البلاد القديم والقريب، حيث الإرث الثقافي والحضاري ضارب الجذور، لكنه يتفاوت تباعاً بفعل (الأغرب) الذين جاؤوا يلتهمون قطعاً من جسدها، غير مبالين بما يرتكبونه من جرائم، حتى (المستثمرين) الذين قدموا بأموالهم بداع (الإعمار)، وبالرغم مما شيدوه من عمّران ومبان شاهقة، لكنّها كانت تستل روح المكان، وذاكرته الثرية بالفن والإبداع، لتقيم على أنقاضه شاهقات جوفاء، أشبه بالجثث المحجّطة في بستان كروم!

فالرغبة الأصيلة لدى البطلة/ الكاتبة تكمن في الحفاظ على الهوية المحلية، من خلال تسجيل تاريخ الوطن وتوثيق موروثاته الثقافية، التي كادت تجور عليها آلة التمدن والتّحول باسم الحضارة. لذلك حتى أعمال البناء التي قام بها (الأغرب)، وإن كان منهم من العرب، كانت تتم على حساب معالم الهوية الأصيلة، والقيم الخلقيّة المتّوارثة. تقول البطلة- مثلاً- وهي تتأمل النقوش في بيت جدها، وما تدلّ عليه من فن معماري رفيع، لا تنحصر قيمته فيما شهدّه من أحداث، أو سلّخه من أعمار وعصور فحسب، إنما بما ينبع به من معالم ونقوش تشكّل هوية ساكنها، وتدلّ عليهم: "النقوش روح المنازل في الشندغة!" (الكمالي، ص 202)

من هنا، يصبح هدم هذه المعالم، حتى ولو كان بدعوى التحديث، هو هدم للهوية، وتنكر للروح والعقل معاً. بل تمضي الكاتبة/البطلة لترى أن هذا التحديث المزعوم هو نوع من الاستلاب والسوقط في وهم التفوق الغربي، فهتف مناجية جدها الغابر: "معجبة أنا بل يا جدي لعلمي أن هدم الإرث عنوان شرقنا الموهوم بالغرب، شرقنا الأحمق منذ أضعاف كتب الحكم. إنه شرق عنيد لا يسمع." بذلك فالبناء الحديث، بالرغم من بذله، كما تصوره الكاتبة، هو بناء من دون هوية أو انتماء، مما يهين ساكنيه بفقدانها: "زحف علينا بناء خال من عباريات التشكيل، بناء ضيق الشعور، يضيق بمساحات ساكنيه، بل لقد احتل البناء الإسموني المنطقة كلها وارتفع "عمارات تجارية برأوسها اللا منتمية". (الكمالي، ص 204)

والعجب أنه "لم ينفض أحد سوى الأمير الغريب" (الكمالي، نفسه)، وهو الرسام المهتم بالمباني التراثية، الذي استنكر عملية هدم التراث، لكن استنكاره لم يغير من الأمر شيئاً.

إن الانفتاح على الغريب، ولا سيما السياحي، هدد التراث الوطني، كما هدد المعمار الحديث التراث المادي والروحي معاً حين حلّت أشكال آلية صماء محل المباني التراثية التابضة بالركشات الفنية القديمة! مع أن ذلك كان بإذن أهل البلاد، لكن الملوم فيه- عند الكاتبة- هو الغريب، فـ"لا يهم المغترب هدم مبني توأي مقابل تشيد بمبنى جديد متعالٍ ومتبخج وبلا أية زخرفة تمثل ثقافتنا". (الكمالي، ص 203)

علاوة على ذلك، هناك إشارات عديدة في الرواية إلى التغيير السلبي الذي أحدثه (الأغراط) الوافدون في هوية البلد الوطنية والدينية، حيث تسبب وجودهم (ولاسيما وجود المستثمرين الضروري للهضبة العمرانية) في ترخيص تقديم الخمور لأهؤهم لم يصبروا من دونها على تحمل حرارة دبي ورطوبة جوها (الكمالي، ص 47 وما بعدها). فازدهرت بذلك السياحة (المكشوفة) وتوافد على البلاد الأجانب من كل مكان "من الإنجليز والأرمن والمولنديون والهنود والعرب والفرس وكل شاكل يعشق ضرب الأقداح، وسكب الكؤوس البلورية بعد تجارة..." (الكمالي، ص 50).

المفارقة، أنه بالرغم من إشارة الكاتبة إلى وجود نوع من الخمر المحلي الرخيص، المحدود الانتشار، فإن الأهالى ضجّوا بالشكوى خوفاً من فساد الشباب، مستنكرين ومتذمرين أمر الخمر: "كل المساحات تأبى الخمر هنا، فلا خمر للخور ولا للخور خمر، ولا انتشاء لنا سوى في مجالس الموالد وذكر النبي، حيث تتمايل يميناً ويساراً ونحن ننشد القصائد في حبه، ولا سكرة لنا سوى بسماع صوت النهار" (الكمالي، ص 51).

لقد استعمل المعارضون النشوة والخمر مجازاً مقترباً بالمدح النبوى؛ متذمرين على الشعور الدينى، في مقارقة تؤكد الفاصام بين المضمور والمعلن، وأن اللغة قد تستخدم في ستر الواقع، إرضاء للصوت الجماعي، وتهيجاً لمشاعر العامة، وغيرها على المقدسات. أما النساء فكانت شكاوهن منبعها الغيرة على أزوجهن وانشغالهم عنهن، وإقبال الشباب على فندق المستثمر الذي أراد أن يبين لهم تغير الزمان والعالم معه، فـ"ألقى لهم" جواباً مصفي في تراث الساسة" مفاده: "من أراد الصلاة فهناك مسجد، ومن أراد الخمرة فهناك فندق، والاختيار لكم". ثم أوضح بأن حاجة البلد للتجارة وللرزق تملي الاستجابة لشروط المستثمرين، معقباً: "وأنتم لستم خارج الحياة! إلى متى ستقولون: نحن غير الناس؟ أفيقوا، فالعالم يتغير" (الكمالي، ص 52).

أزمة اللغة وعلاقتها بالهوية:

تبزر أزمة اللغة وازدواجيتها، لدى البطلة، بوصفها تحدياً من تحديات الهوية، تقول روزة: "ييعترني الوهم بوصفى ابنة تعيش عصرها ونار المقر، وتبقى المحصلة في لغتين لغى النبطية التي أتحدث بها كفتاة تنتهي إلى أراضي الساحل المنسية، ولغة الهضبة العربية الفصحي التي اتخذت من اللغة خلافة جديدة تنمو حيرى في أراض شاسعة تدعى الأراضي العربية فكان القرار لزمن ألماني لبوس التراث في المجالس. هكذا تتخذ البطلة الكاتبة القرار بتوديع لغة الأنبياط، وتختر الكتابة بلسان فصيح وفكرة يمتد عبر هذيان يومياتها - كما تقول- وهي تتفرج "على مسرحية لزمن عربي متتحول!" (الكمالي، ص 70)

لكرها تستغرق في الهوا جس الفنية مثلما تستغرقها هوا جس التوثيق، فتقول عن لغتها: "أحببت اللغة التي أستخدمها وأنا ألبسها لبوسها الخام، وأكتها بعد مكافحة لمعرفة نفسى، لأضمن الشفاء من المشاعر المريضة، وقد كانت النتيجة أنني ألغى للأخرين على الفور، فالكتابة قلب جديد، وكلما انغمست في التأليف زادت قوتي، فاللغة أصل الذوق". (الكمالي، ص 158)

لكن هذه اللغة (لغة الكتابة الفصيحة) اقتربت عند عهدها بمظاهر التحرر في لباسها العصري القصير، مسجلاً الأمر-بامتعاض- على أنه انتفاح "بهيئة الحرير" مستنكرة عليها بوصفها "أنثى عربية دبوبة، معلومة الأصل والفصل مخبوعة الجسد" أن تتحدث "بلغة القوميين العرب وهياهم الغازية"! (الكمالي، ص 17) فكأن هذه اللغة القومية هي لغة من لا أصل له، أو مجھول النسب، فهو يتكئ على القومية هوية بديلة تعوضه عن فقدان النسب، أو عن إحساسه بالنقص لضعف أصوله القبلية.

ينبض الخوف التقليدي من فوات فرصة الزواج إن هي أكملت تعليمها في الخارج بل إن هذه الهضبة العربية صارت جملة تبعث على الخجل لدى رجال العائلة، وأصحاب العادات التقليدية. (الكمالي، ص 17)

وهي حين تطل من قلعة أبيها، تحلق بأوهامها لتنظر إلى منطقة (الراس) في الجهة الأخرى للشندغة، فيسرح بها الاسم إلى مشاهد فيها رؤوس كثيرة، حيث تمد يدين "مفتاحين كجناحين مسافرين وهما فوق الرؤوس كلها" لتداعي لها مشاهد الرؤوس رغم اختلاف سياقاتها: رأس برج الهوا، رأس الزاوية المزخرفة لهلال في جص، رأس الجمل أمام سنانه في رمال بعيدة، رأس القلم الذي أخرجته من حقيبة يدها الطائرة معها، ثم عندما نظرت إلى

المشاة في الأسفل (كانت الأجساد يتسيدها رأس) فالجار (صاحب رأس المال)، ووالدها (في رأس المكانة)، عمها (رأس الغموض)، وزوجة عمها (رأها في رأسها)، وجدتها (يهمها رفع الرأس والسمعة)... وتقودها (حكاية الحمقى مع الرأس الأخاذ بشمال الجسد) إلى التأمل في قيمة الشمال مقارنة بالجنوب، في إيحاءات دالة بنبرة تهكمية: "أليس الشمال أجمل من الجنوب؟ والشمال دائمًا على ميام، الشمال البارز، ولا تهمنا الأقدام وما نسحق بها؟ فليجي الشمال الغني ويملك الجنوب الفقر، الشمال الأبيض والجنوب الأصفر..." (الكمالي، ص 33، 34)

هاجس الكتابة أو الجنون وسؤال الأنثى:

يتجلّى سؤال الكتابة الهاجس الأكبر للذات في اليوميات، مقتربنا بسؤال الهوية، على عَدَّة وجوه: الهوية القومية، بما فيها اللغة الفصيحة، والهوية الوطنية، والهوية الجنسوية / (الجندريّة)، وهوية الذات الكاتبة التي تتوق لتعنق روحها بالكتابة والإبداع.

تنجي البطلة (روزه) إلى جيل واحد من طالبات المدارس حين كانت بوادر النهضة العربية تداعب أحلامهن بعصر جديد يتمتعن فيه بما يسوده من حقوق في التعليم والحرية والمساواة، ويتطلعن إلى تحقيق طموحاتهن بما يحرزنه من تقدم خارج أسوار البيوت، وعتمات البراقع.

تبدأ البطلة من حيث غربت شمس يومياتها في رأس الخيمة بقلعة شيخ تسيباني أرغمت على الزواج منه بعد وفاة عريسها يوم العرس جراء سقوطه من حصانه. كانت تعيش مع أمها وأخوها في الشارقة، متنعنة بجو من الحرية والتعليم، موعودة ببعثة دراسية لإحدى الدول العربية لإتمام تعليمها الجامعي. فالجانب الأمومي للبطلة يبدو أكثر افتتاحاً وأوسع أفقاً من محيطها الأبوي الذكوري، الذي اضطرت للانتقال إليه.

وفاة أمها غيرت مجرى حياتها؛ لتنتقل إلى (بر دبي) حيث مضارب أهل والدها الذين لم يرضوا أن تعيش ابنتهم بعيداً عنهم، بعد أن فارقت أمها الحياة. من هنا تبدأ مرحلة جديدة معتمة من حياة (روزه) حيث أخذت منها ملابسها العصرية، أو كما تسمّها (ملابس النهضة العربية)، وأجبت على ارتداء الملابس القديمة التقليدية المستعملة / ملابس زوجة عمها. في هذا الوسط، لا سلطة فيه إلا للذكور، ولا سيما عمها رجل العائلة الذي لا هم له إلا المحافظة على المال وإنماه، وهو صاحب السلطة الذي يحرّمها من الاطلاع على ما يرد إليها من رسائل من معلمتها ومن زميلة دراستها. (الكمالي، ص 86) حتى الجدة، وهي امرأة قوية نافذة الرأي، لا تصدر إلا عن عقلية ذكورية. ولا ترى من مكان للمرأة خارج البيت.

إن أسئلة الانوثة وموقعها في مجتمعها لا تجد لها ما يقنعها لدى البطلة التي تسبّح في تهويّة مع الخيال، في أثناء رحلتها مع عمها إلى قلعة أبيها وتحلق مع ريح العافور-حسب تعبيرها- لتحط على شجرة العائلة التي "تباهي بأسماء الآباء في سلالات ذكورية الاشتراق..." فيثور فيها هذا التساؤل: "كَلَّهم أَجَدَادِي، فَأَنِّي جَدَاتِي؟!" (الكمالي، ص 22) هذا التساؤل الذي قامت عليه الحركة النسوية في الغرب، جاعلةً أحد أهدافها الأساسية- البحث عن تراث النساء المدفون مثل قارة أطلنطس بتشبيهه إلى شوالتر (Eagleton, M. 1986, p. 5) وأثارته بالملف فرجينيا وولف في كتابها (غرفة تخص المرأة وحده، A Room of One's Own) الذي حثّ فيه النساء- إذا أردن الكتابة- أن يحرّصن على تأمين استقلالهن مادياً ومكانياً، وبينت أن غياب الإرث النسوّي الإبداعي لا يرجع إلى قصور المرأة عن الإبداع، وافتقارها للموهبة الأدبية، إنما يعود إلى معاناة المرأة- عبر العصور- من القمع، والذكورة، والمنع من مزاولة الكتابة الأدبية وكأن العمل الإبداعي هو من اختصاص الرجال وحدهم الذين توفّرت لهم- في المجتمع الذكوري- كل الأدوات، وفتحت أمامهم الأبواب لاكتساب الخبرة، ووصل الموهبة، وتجربة الحياة الحقيقية، في حين أوصىت بآحكام وصراحتة أمام جنس النساء!

إن البطلة (روزه) تشبه إلى حدّ كبير جوبيث شكسبيير المتخيلة في كتابات وولف (28, V., p. 28) تلك المرأة الموهبة- من القرن السابع عشر- لم تتوفر لها الفرص (أكّلها ويليم) لتصقل موهبتها، وتحقق عظمتها (كما فعل أخوها)، بل اضطرت أن تمارس كتابتها في الخفاء، كما تفعل (روزه) في اليوميات، ولا تجرؤ على إبرازها للعيان.

إن المحو/الغياب الذي تعانّيه المرأة الكاتبة، ووقعها في المجهول، قد استمر في الغرب حتى القرن التاسع عشر حيث اضطررت تلك الظروف عدداً من الكاتبات إلى اللجوء إلى التعمية عن أسمائهن باستخدام أسماء للرجال، على نحو ما فعلت (جوجن إلبيوت)، (جوجن صاند) (ينظر 30, Woolf, 2014, p. 30)

لن تلبيث (روزه)- بعد ذلك- أن تدرك أن وجود المرأة- في مجتمعها- إنما هو مستمد من علاقتها بالرجل؛ سواء بنسبه، أو حرفته، أو وجاهته وماله، ولا تملك المرأة هوية لذاتها، فلا هوية لها إلا بالانتساب للرجال. لذلك ستدرك حين تناديها جارة بـ(بنت التجار)، أنها ستعرف بغيرها، فهي أنثى محكومة بالاختباء والإنكار والجهل، وتسرح بخاطرها- في ألم- متّجاوزة (نشوة الألقاب والكتابات) لتذكر كيف كانت في المدرسة تدعى بـ(ملكة الأدب)، وكيف صارت (أديبة المدرسة) لتجد نفسها (فرعاً أنشوا) في بيت والدها تدعى بحرفية أسلفها، وفي غد ستثال كنية (أم فلان) لتمضي بها "الألقاب من المعلوم إلى المجهول" (الكمالي، ص 32).

إن كتابة الأنثى فعل واعٍ بكونيتها وذاتها في مقاومة الإهمال والجحود والنسّيان، فهو يمكن أن ينظر إليه على أنه شكل من أشكال الهوية. يعرّف الفيلسوف جون لوك الهوية على أنها «تذكّر للذات»، وأنّها تقوم بصورة تامة على الإحاطة بأسرارها. أمّا بول ريكور وحنا آردنت، فيذهبان إلى أنّ "تذكّر الذات هو هوية سردية للذات وتجسيده للهوية الذاتية". (مارو، ج. 2021)

الكاتبة- في جلسة حوارية عن بُعد، نظمها صالون الملتقى الأدبي مساء الثلاثاء الموافق 20 أكتوبر 2020م- تصرّح بقصدية الكتابة بصوت الأنثى

ارضاء لها، بعد أن لاحظت أنها كانت تكتب في الماضي لترضي الرجال!

من هنا يلتبس سؤال الكتابة بسؤال الكينونة والمصير لأنثى في مجتمع ذكوري، منذ تأملتها وهي في الطريق إلى قلعة أنها في الشندغة، لتقرر الاستسلام الظاهري، مع ارتداء ثوب الحشمة والخرس، بما يناسب النساء في الثقافة السائدة ليفارقها ظلها الذي يشير إلى الحماية الآمن، لكنها تستدعيه وتستعيده بالكتابة؛ لتعلق لقلمها العنان في كتابة طلقة لا تعبأ بقيود أو حدود، لأنها تعرف أن ما تخطه مصيره إلى المحو، فهي تخلص من يومياتها أولًا بأول، في فعل (له دلالات رمزية) برميه "في خور ماء لم يعد ضحلا!" (الكمالي، ص 20)

مع ذلك، يبقى فعل الكتابة، هو الفعل الوحيد الإرادي الذي تملك البطلة/ الكاتبة أن تقرفه خلسة، وهو الذي تمارس به حقها في العيش- وإن كان مؤقتًا - والنطق، والحرية؛ لتعيش في انفصام بين السر والعلن، والظاهر والباطن، هي "الفاتحة الطلقة على الورق، والبكماء أمام أسرتها" (الكمالي، ص 33)، فتذكرة كثيًراً من دفاتر ممتلئة بحكايات ما حولها و يوميات كتبها وأتلفتها خشية أن تهمن بالمس. (الكمالي، ص 7)

هكذا تبرز الكتابة- كما تقول كاتبها الطويل- "المفتاح الوحيد لهذا السجن العائلي والاجتماعي والوجودي الذي لا ينفك يطبق أقصى بعد على جسد السجينه وجودها" (الطويل، لـ 2021م)، فقد وجدت فيها البطلة الأنثى فيها (هوية إنسانية) تحقق لها في فضاءات التعبير، وهو ما منح- حسب محمود إسماعيل بدر- الرواية الأنثوية حيويتها. (بدر، محمود إسماعيل، 2022)

وتذكر البطلة أنها منذ طفولتها المتأخرة وهي تجد نفسها مغامرة في انصرافها الدائم إلى يومياتها، "وكان الصفحات البيضاء براءة زائدة تناديني لأملأها هفوات، وأحسو هوما شها بالشدائـد والهمـ، وأحوالـ كلـ قصـةـ واقـعـيـ، وإنـ كانـ مـضـيـنـةـ، إـلـىـ عـبـيـةـ بـأـحـدـاثـ وـهـنـيـاتـ مـدـسـوـسـةـ..." (الكمالي، ص 24)، ثم تسرح بخيال دفاترها متسائلة هذه الأسئلة الموجعة: "ماذـاـ لـمـ أـكـتـبـ كـلـ تـلـكـ الـحـكـاـيـاتـ الـمـتـلـفـةـ؟ـ ماـذـاـ لـمـ أـخـطـ بـقـلـيـ نـثـرـاتـ وـهـمـيـةـ أـطـبـطـ عـلـىـ قـلـيـ وـلـوـ بـالـتـنـقـيـطـ عـلـىـ سـطـوـرـ الـوـرـقـ؟ـ ماـذـاـ لـمـ أـسـتـخـدـمـ خـيـالـ وـلـغـيـ لـأـحـولـهـماـ مـنـ وـاقـعـيـ الـمـرـ إـلـىـ أـدـبـ؟ـ ماـذـاـ لـوـ...ـ وـأـنـاـ فـيـ اـرـتـحـالـ إـجـبـارـيـ دـاتـيـ كـانـيـ،ـ ماـذـاـ لـوـ؟ـ بـلـاـشـكـ لـجـنـ جـنـوـنيـ" (الكمالي، ص 8)

فبالكتابة وحدها تبقى الأنثى متماسكة على قيد العقل، الذي تخشى من اهتمام من حولها بفقدانه، إذا ما ضبطت متلبسة بالكتابة. إنها تعالج انفصامها، ولو على نحو آني. تقول: "أتوهّج بعد غمّس الفكرة على الورق، وكأنني بإنجازي نصاً أرقة ما بي..." (الكمالي، ص 25)

لكنها في مفارقة مريءة، لم تكن تفعل سوى الكتابة ومحوها، فاليموميات تجسد حركة الكاتبة العبنية بين ثنائية الكتابة، والمحو الذي هو قدر كتاباتها، كما هو قدرها حين ترى نفسها "حرة"، بمعنى الآخرين؛ لأن التوثيق هو "مهمة الرجال" (الكمالي، ص 28)

غير أن الماء لم ينجح -فيما يبدو- في محو ما رمت إليه من دفاتر، فها هي يومياتها ترى طريقها إلى النور، وتخرج من السر إلى الإعلان، وللماء دلالات عديدة، من أهمها ثنائية الحياة والمموت، كما يمثل قوة تطهيرية مقدسة. (ينظر مثلاً ليندا جينش جرومز، 1983، ص 21، 22) وكأنه، بطاقاته الرمزية، وقدرتة الخالقة، وانسيابية حركته المساعدة على التحول، قد حول طريق اليموميات من العدم إلى الحياة، ومن المحو إلى التعميد الطقسي، والترخيص للظهور الرسمي المعلن!

إنما المفارقة الأصعب أن هذا البقاء لليوميات، قد تم من خلال حذف التاء في اسمها (روزة) حين حذف خطيبها المحب حرف التاء، على سبيل الاحتراز والحماية! (الكمالي، ص 164)

إن هذا التغيير الطفيف شكلاً، ليحمل دلالات عميقة الغور في الذات، التي كانت تحتفي ببناء التأنيث، ممعنة في تأملها وتفسيرها "...هبطت الأرض، وبقيت محافظة على التاء الملتصقة بالأنثى. ألم يقل قدماء العرب: التاء دلالة الفهم والعلم، وهي تاء القسم، وأنه... تالله، إنهم يقسمون بشرف الأنثى. وسوف أبقى التاء المنطوقة من وفي طرف اللسان والثانيا العليا رغمما عن الواقع المر، لأنني تاء رقيقة تلفظ مهمسة من الخجل". (الكمالي، ص 11) وتشير إلى انتقالها بين إمارة أنها إلى إمارة أمها الشارقة بعد وفاة والدها، إلى العودة بعد وفاة أمها بأن ذلك يحكم طبيعتها الأنثوية بوصفها "تاء السر والارتباط!" (الكمالي، ص 23)

مع ذلك، فهي تحتفي بحذف حبيبها للتاء- من اسمها- تموئهًا؛ لكي تمر يومياتها إلى النشر من دون أن تشير أصابع الاتهام إليها! ففرح (روزة) بحذف تاء التأنيث، قد يفهم في سياق رومانسي لراهقة يعجمها حرص حبيبها على حمايتها من الآخرين، بنشر كلماتها مع تمويه اسمها، حتى يضل عنها الأنظار، أكثر من فهمه على أنه تضحيه منها باسمها، في مقابل أن تجد كلماتها طلقة الإسار!

من جهة أخرى، قد يوحي ذلك- ظاهريًـا- بانتصار الأنثى التي تفخر بانحياز حبيبها إليها، ضد مجتمع ذكوري منحاز للرجل، حتى لترى فعله (فعل الفرسان الحماة)! (الكمالي، ص 164) لكن المتأمل في هذه (النصرة) من الرجل، سرعان ما يدرك هشاشتها، التي تتكى على المداجة والمواربة، بدلاً من التحدّي والمواجهة المعلنة! ويدرك القارئ- كذلك- فعل الثقافة الأبوية المتوارثة التي تظهر الرجل بتفوقه العقلي والجسدي هو الحامي للمرأة من الأذى الخارجي، ومن قصورها وحدود قواها الجسدية والعقلية. تقول البطلة: "كدت أدس وجهي في بطن مخدتي لأكرر ضحكته على شريك مقبل يوازن بكياسته جنوني..." (الكمالي، ص 164).

في الواقع، يبدو هذا الموقف مثيراً للاستغراب، من البطلة ومن الكاتبة معاً. فقد يعزى قصور وعي البطلة بنفسها وبحقها إلى صغر سنها، واندفاعها

في مشاعرها الحالية، ولكن لا يبدو من مجريات اليوميات. أن الكاتبة تعمد لفضح هذه الحيلة الثقافية التي تمرّ على مراهقة فتجعل شخصيتها تتلاشى في فارس أحالمها، خاصة أنها اختارت له النهاية التراجيدية في موت مجاني، ثم تبدد ذلك كله بصحوتها من منامها/الكاوبوس على يد أمها التي لم تمت، صباح اليوم المقرر لسفرها لمواصلة دراستها، لكنها تتمىء العودة إلى الحلم لكي تكتب بشجاعة من دون أن تتخالص مما تكتب. (الكمالي، ص 223).

إن موقف الكاتبة يذكّر بمعاناة المرأة الكاتبة في أوروبا قبل عقود طويلة، كما سبقت الإشارة، وخاصة وقوعها تحت سلطة مداهنة تمنع من الكشف، والتعبير الحرّ، وتجنح للممالة والمجاملة، وهو ما أسمته فريجينيا وولف (الملالك في البيت) وتفخر بأنها صارعتها طويلاً حتى تمكنت من قتليها، لذلك في تنصّح النساء اللاتي يتصدين لكتابية الرواية أن يتعاملن بحرية مع ما يعتقدنه، من دون مواربة. (Woolf, 1974, p. 236).

يتجسد ظلم الأنثى هنا من مجتمع لا يرى لصوتها حّقًا في أن يعلو إلا إذا تخلّت عن أنوثتها، أو فقدت هويتها، وتنكّرت باسم ليس لها، فلا تعود لها صلة علنية بالكلمات المنشورة. إن مؤازرة الرجل/الحبيبـ في يوميات روزـ لا تعود طمس هوية روزةـ، والتعتيم على اسمها الذي إن ظهر محفوظاً بـتاءـ الثنائيـ، فـسيـتـعـرـفـهاـ = الناسـ، لأنـهـ لاـ يـتـكـرـرـ فـيـ الشـنـدـغـةـ وـلـاـ خـارـجـهــ!ـ (الـكمـالـيـ، صـ164ـ)ـ كـأـنـ الـكـتـابـةـ فـعـلـ شـاتـنـ لـلـإـنـاثـ، أوـ أـنـهـ فـعـلـ إـرـادـيـ قـوـيـ، كـاـشـفـ لـلـذـاتـ، لـاـ يـلـيقـ إـلـاـ بـالـرـجـالـ!ـ هـكـذـاـ تـبـدوـ أـزـمـةـ الـهـوـيـةـ، لـدـىـ الـبـطـلـةـ، مـتـعـدـدـةـ الـجـوـانـبـ مـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـطـلـقـ عـلـيـهـ اـسـمـ (ـالـهـوـيـةـ الـمـتـشـظـيـةـ)، وـهـيـ الـقـيـ تـتـوـزـعـ بـيـنـ وـلـاءـاتـ شـيـ، وـتـنـازـعـهـاـ (ـضـغـطـوـتـ سـلـطـاتـ الـأـخـرـ).ـ (ـيـنـظـرـ الـجـبـوريـ، مـ.ـ 2021ـ، صـ275ـ).

لقد حلّت أزمة البطلة روزة، في النهاية، بطريقة مجانية وادعة خالية من الفعل؛ تتمثل في صحو البطلة من الحلم فتشير إلى محض تحول وانتقال في مستويات التخيّل والعبور من عالم الحلم/الكابوس الذي نسجته بقلم الخيال، إلى عالم أكثر واقعية وتعود إلى عالمها المأمول الحاني، فتجد نفسها بين يدي أمها لتسعد للسفر لإكمال دراستها وتحقيق طموحها، وتحلّ أزماتها من دون صراعات أو تضحيات! بذلك يكتشف القارئ أن ما بذلت من "شجاعة وتحدة" من روزة لم يكن حقيقة". وهو أمر، كما سجل وأسني الأعرج-محققاً- لم يخدم الرواية. (الأعرج، 2021)

الخاتمة:

تبعد هذه الدراسة موضوع الهوية، في رواية (يوميات روز)، للكاتبة ريم الكمال، حيث تتقاطع أسئلة الوطني والقومي مع الآخر القريب والغريب، على مسافات القرب والبعد المختلفة، كما تتقاطع أسئلة الذات الأخرى مع الآخر الرجل لتنتظم هذه الأسئلة في سؤال يجمعها هو سؤال الهوية. لقد كشفت هذه القراءة، في تحليلها للرواية، أن موضوع الهوية هو الملاجس الرئيس لهذه اليوميات، وإن تعددت مظاهر التعبير عنها، ويمكن إيجاز

الذات الوطنية والآخر القريب (الانتماء القبلي أو الجهوي).
الذات المبنية والآخر القريب (الجهوي).

الذات الوطنية والآخر الغريب (علم، تعدد درجات خطوه من عماله وافده، سياح، مستعمرين).

الذاكرة الوطنية في مواجهة خطر الهدم والنسیان.

الترا ث في مواجهة خطر التحدي ث الوافد.

الذات الأنثوية وموقعها في مجتمع ذكوري

الذات الانثوية الكاتبة وحقوقها

اللغة المحلية واللغة الفصحى

اهلى الكاببه وهاجس الإبداع وبح

لقد بيّنت هذه الدراسة كيف ظهرت هذه المُسماة

رد بإثباتها هذه الرواية، إذ نعد من المسائل التي

ارات ام حارجها. وقد ظهرت بعض هده الاستله

لقد بينت هذه الدراسة كيف ظهرت هذه الأشكال العديدة لتمثالت الهوية والانتماء، لتكون خيوط السرد في يوميات روز، وهي قضايا حيوية قد لا تنفرد بإثارة هذه الرواية، إذ تعدد من المسائل التي كثر تناولها في العلوم الإنسانية بفروعها العديدة، ولم تتأخر فنون السرد عن معالجتها، سواء في دولة الإمارات أم خارجها. وقد ظهرت بعض هذه الأسئلة في روايتي الكاتبة السابقتين، لكن هذه الرواية حاولت الاقتراب من التاريخ القريب للبلاد، لتكشف أسئلتها المتشابكة حول موضوع الهوية، من خلال رصد التحول في حياة أئتي كاتبة يحركها شغف توثيق الذاكرة المحلية، ويدفعها خوف من فقدانها أو تشويمها. لا يخفى أيضًا من خلال هذه القراءة - تماهي الكاتبة مع بطلتها المسكونة بهاجس الكتابة والتاريخ وتحقيق الذات؛ لتعبر- بأسلوبها- عن هاجس الأنثى وحلماها في الحرية والإبداع، وعن معاناتها في مجتمع ذكري لا يقر لها بحقها في أن يكون لها كيانها المستقل، لكنها مع ذلك لم تستطع أن تتجاوز سلطان الثقافة التقليدية المشبعة بأوهام التفوق الذكوري. كشفت الدراسة كذلك عن هاجس الرواية في الحفاظ على الهوية الوطنية، ورصد معالم التغير في معايم البلاد والموروث المادي والروحي؛ الذي تعرض للخطر- بالدرجة الأولى- بسبب الأجانب، على اختلاف هوياتهم وغایاتهم. بدأت كتابة هذا البحث في إطار مشروع يحكي، حول الرواية الإماراتية، حظى بتمويل من جامعة الإمارات العربية المتحدة.

المصادر والمراجع

أولاً الكتب:

- بلكا، إ، وحراز، م، إشكالية الهوية والتعدد اللغوي بالمغرب العربي: المغرب نموذجاً (2014)، (ط1)، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

الجرجاني، ع. (1985)، معجم التعريفات، بيروت: مطبعة لبنان.

رالف إ. (2008) المكان واللا مكان، ت. منصور البابور، طرابلس: الهيئة القومية للبحث العلمي.

صلبيا، ج. (1982)، المعجم الفلسفى بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

صن، أ، (2008)، الهوية والعنف: وهم المصير الحتمي، ت. سحر توفيق، الكويت: عالم المعرفة (العدد 352).

الكميوي، أ. (1998)، الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، ت. عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الكمالي، ر. (2021)، يوميات روز، (ط1)، بيروت: دار الآداب.

الكيلاني، ر. (2013)، الهوية في الرواية الإماراتية: الرموز والتجليات، (ط1)، دبي: كلية الدراسات الإسلامية والعربية.

المستدي، ع. (2014)، الهوية العربية والأمن اللغوي دراسة وتوثيق، (ط1) بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

ثانياً المجالات:

الجبوري، م. (2021)، الهوية السردية: المفهوم والتجلّي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 18 (1)، 268-285.

زغو، م (2010)، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، الجزائر: الأكاديمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 93-101.

سوزان مشير حمد، (2020)، جدل الهوية بين الانسجام والاختلاف في رواية (غريق المرايا) لإلياس فركوح، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 13، 98-115.

ثالثاً المواقع الالكترونية:

الأعرج، واسيني، "كوابيس السجينية في (يوميات روز) لريم الكمالى"، (17.9.2021م)، في موقع الأمة برس الإلكتروني: <https://thenationpress.net/articles-2759.html>

بدر، محمود إسماعيل، "يوميات روز حس أنثوي يتمرد على الإقصاء" نشرته صحيفة الاتحاد، (28 مارس 2022م)، في موقعها:

<https://www.alittihad.ae/news/%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9/4274123-1>

صفحة البوابه الرسميه لحكومة دولة الامارات العربية المتحدة: %D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%82%D8%B5%D8%A7%D8%AD

<https://uae/ar-ae/information-and-services/social-affairs/preserving-the-emirati-national-identity/population-and-demographic-mix>

الجابري، م. (2010)، الهجرة ومسألة الهوية، نشر بصحيفة الاتحاد، في موقعها الإلكتروني:

%D9%88%D9%85%D8%B3%D8%A3%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9

الطول، كاتيا، «بطلة ريم الكمال تستيقظ يوماً فتجد حياتها مقلوبة»، (9.1.2021م)، بصحيفة الاندبندنت العربية، في موقعها الإلكتروني:

bs://www.independentarabia.com/node/255301/%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9/%D8%A8-8%A9-%D8%B1%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A-%D8%AA%D8%B3%D8%AA%D9%8A%D9%82%D8%B8-%D9%8A%D9%88%D9%85%D8%A7%D9%8B-%D9%81%D8%AA%D8%AC%D8%AF-%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D9%87%D8%A7-%D9%85%D9%82%D9%84%D9%88%D8%A8%D8%A9

غليون، ب (2005)، العولمة وأثرها على المجتمعات العربية، ورقة مقدمة إلى اجتماع خبراء اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الأمم المتحدة) حول "تأثير العولمة على الموضع الاجتماعي، في المنطقة العربية" ص. 23، من موقع اليونسكو:

-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9-%D8%B9%D9%84%D9%89-

84% 88% 86% 89%

%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A-%D9%81%D9%8A-

%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B7%D9%82%D8%A9-

%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9

Digitized by srujanika@gmail.com

الكمالي، ر. (تعريف)، في موقع التبرة الإلكتروني:

<https://altibrah.ae/author/6848>

الكمالي، ر. (تعريف)، في الموقع الإلكتروني للجائزة العالمية للرواية العربية:

<https://arabicfiction.org/ar/node/1958>

مارو، ج.، (2021)، فقدانها قطيعة مع حقيقتنا الأصلية: الهوية وثبات الذات، ت. أحمد حميدة، من موقع صحيفة الاتحاد:

<https://www.alittihad.ae/news/%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9/4222896/%D9%81%D9%82%D8%AF%D8%A7%D9%86%D9%87%D8%A7-%D9%82%D8%B7%D9%8A%D8%B9%D8%A9-%D9%85%D8%B9-%D8%AD%D9%82%D9%8A%D9%82%D8%AA%D9%86%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B5%D9%84%D9%8A%D8%A9---%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%AB%D8%A8%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D8%A7%D8%AA>

References

- Eagleton, M. (1986), Feminist Literary Theory: A Reader, (1st ed.) Oxford: Basil Blackwell.
- Jentsch-Grooms, L., (1983), Exile and the Process of Individuation: A Jungian Analysis of Marine Symbolism in the Poetry of Rafael Alberti, Pablo Neruda, and Cecilia Meireles, Valencia-Spain: Albartos Hispanofila.
- Woolf, V., (2014) A Room of One's Own, (E-Book), Delphine Lettau, Cindy Beyer & the online Distributed Proofreaders Canada team at <http://www.pgdpcanada.net>
- Woolf, V., (1974), Death of The Moth and Other Essays, New York: Harcourt Brace Jovanovich.